التناغم المكاني في القرآن الكريم
(سورة يوسف أنموذجاً)

م.م. حامد رشيد مجبل عبدالله
وزارة التربية/ مديرية تربية الانبار/تربية الفلوجة

Spatial Harmony in the Holy Qur'an
A Case Study of Surah Yusuf

Asst. Lecturer Hamed Rashid Mujbil Abdullah
Ministry of Education/ Anbar Directorate of Education
Fallujah Education

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

ملخص البحث

البحث يهدف إلى بيان أثر التناغم المكاني في القرآن الكريم من خلال سورة يوسف، وكيف أسهم المكان بتبدلاته وتنوع دلالاته في بناء الأحداث ورسم معانٍ تربوية وجمالية مؤثرة. وتتمثل مشكلة البحث في التساؤل عن أشكال التناغم المكاني في السورة، وما طبيعة العلاقة بين تغيّر المكان وتطور القصة القرآنية. وقد اعتمد الباحث على منهج تحليلي يستند إلى أقوال المفسرين مع استنباطات خاصة، وجاءت خطة البحث في مبحثين: الأول لتعريف التناغم المكاني، والثاني لتطبيقاته في السورة. وخلص البحث إلى أن المكان لم يكن إطاراً محايداً للأحداث، بل كان فاعلاً في توجيهها وإبراز دلالاتها، فتنوع بين الخيال والواقع، والضيق والسعة، مما أبرز إعجاز القرآن في توظيف المكان لخدمة الرسالة والمعنى.

الكلمات المفتاحية:التناغم المكاني، القرآن الكريم، سورة يوسف، الدلالة التربوية، الإعجاز البياني.

Abstract:

The study aims to highlight the impact of spatial harmony in the Qur'an, focusing on Surah Yusuf, and to show how the shifts and variations of place contribute to shaping the events and conveying powerful educational and aesthetic meanings. The research problem lies in questioning the forms of spatial harmony in the surah and the nature of the relationship between the changes of place and the development of the Qur'anic narrative. The researcher adopted an analytical method based on the views of exegetes along with personal deductions. The research plan consists of two parts: the first defines spatial harmony, and the second applies it to the surah. The study concludes that space was not a neutral frame for events, but rather an active element directing them and emphasizing their meanings, alternating between imagination and reality, and between narrowness and openness, thus manifesting the Qur'an's miraculous use of place in serving its message and meaning.

Keywords: Spatial Harmony, Holy Qur'an, Surah Yusuf, Educational Significance, Rhetorical Miracle.

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

الْمُقَدِّمَةُ

الحمد لله مستحق الحمد وأهله، ومبين الهدى بإيضاح سبله، أحَمده حمداً دائماً بلا فترة، وأشكره على نعمه التي لا تحصى كثرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أَدَخِرها نجاةً من عذاب الحفرة، وسلاماً من العدو في العسرة واليسرة، وأصلي على عبده ورسوله سيدنا محمد الذي اختاره واجتباه، وأحبه وارتضاه، وعظمه وكرمه ورفعه على من سواه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه.

أما بعد: يحتل المكان في القرآن الكريم منزلة مرموقة، وأهمية خاصة، إذ تعتمد عليه كثيرٌ من الوقائع القرآنية، سواء أكانت قصصاً، أو أحكاماً، أو أخباراً، وربما تمحورت حوله الحوادث والوقائع والأحكام، وتأثيرات المكان قائمة فعلاً لا شك فيها.

ومن أجل بيان هذه الأهمية من الناحية التطبيقية ارتأيت بعد التوكل على الله تعالى تناول إحدى القضايا المتعلقة بالمكان في هذا البحث الموسوم (التناغم المكاني في القرآن الكريم- سورة يوسف أنموذجًا).

أهمية البحث:

تتأتى أهمية الموضوع من أهمية مادته، فهو يتعلق بدراسة بعض آيات القرآن الكريم كتاب المسلمين الخالد.

سبب اختيار البحث:

يسعى هذا الموضوع إلى تسليط الضوء على إحدى العلاقات المرتبطة بالمكان في القرآن الكريم، وبيان أثر هذه العلاقة في السباق والسياق، واستنباط علائق جديدة بين توالي ذكر الأمكنة في القرآن الكريم.

حدود البحث:

يتعلق البحث بسورة يوسف.

إشكالية البحث:

١. ما هي أشكال التناغم المكاني في سورة يوسف؟

٢. ما طبيعة العلاقة التي تربط بين تبدلات المكان في القرآن الكريم؟

منهج البحث:

منهجي في هذا البحث هو بيان دلالات المكان في ضوء أقوال المفسرين مع بعض الاستنباطات الخاصة.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث بعد هذه المقدمة الموجزة على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف التناغم المكاني.

المبحث الثاني: تطبيقات التناغم المكاني في سورة يوسف.

ثم خاتمة البحث.

وقائمة المصادر والمراجع.

والله تعالى اسأل ن أكون قد وفقت في عملي هذا، وحسبي أني تشرفت بدراسة كتاب الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول: تعريف التناغم المكاني

إن المكان موضع الأحـداث، وقد لا يكون له وجود فعلي قائم إلا في خيال المتلقي، كالإخبار عن الأماكن الغائبة عن النظر، والمكان قد يكون بنية فوقية يغدو فيها المكان فضاء، وذلك عندما يسهم المكان في توضيح حقيقة الحدث، وعندما تتعامل مع الشخصيات «فيتسع ليشمل العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والحوادث، وهى فوقها كلها ليصبح نوعاً من الإيقاع المنظم لها»(١).

وهذا المبحث مخصص لتعريف التناغم المكاني في اللغة والاصطلاح:

أولاً: تعريف التناغم:

النغم في اللغة: الكلام الخفي، وقد نغم من باب ضرب وقطع، وسكت فلان فما نغم بحرف وما تنغم مثله، وفلان حسن النغمة: أي حسن الصوت في القراءة (٢).

وقال ابن فارس: «النون والغين والميم ليس إلا النغمة: جرس الكلام وحسن الصوت بالقراءة وغيرها. وهو النغم. وتنغم الإنسان بالغناء ونحوه»(٣).

وتناغمَ يتناغم، تناغُمًا، فهو مُتناغِم، وتناغمتِ الألوانُ: تآلفت وتجانست واتَّسقت، وأصوات مُتناغمة، يجد تناغُمًا مع صديقه، تناغمتِ الألحانُ»(٤).

ويرتبط التناغم بجانبين هما (٥): جانب يتمثل بمفردات حسية عاطفية تشير إلى المعاني الآتية: الترتيب المنظم، المسر للعين، المرضي، المقبول، الملائم، التوافق، المنسجم، الجميل، الهدوء الداخلي، السكون.

وجانب يرتبط بعلاقات عامة تقابلية كالعلاقة بين الأجزاء ومجموعها، مثل الجزء والكل، أو تعبر عن النظام، أو الوحدة، أو التوازن، أو التكرار.

---

(١) بناء الرواية العربية السورية، د. سمر روحي الفيصل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥م: ٢٤.

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م: مادة (نغم) ٥/٢٠٤٥.

(٣) مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م: مادة (نغم) ٥/٤٥٢.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م: ٣/٢٢٤٥.

(٥) التناغم اللوني في البيئة الحضرية، د. وحدة شكري الحنكاوي، ندى عبد المعين حسن، المجلة الهندسية المعمارية العراقية، العدد ٢٢، ٢٣، ٢٤، تشرين الأول، ٢٠١١م: ٥.

وفي الاصطلاح: يطلق التناغم على جملة معاني تختلف باختلاف العلم أو الفن الذي يتناوله، والتناغم بالمعنى العام يراد به الانسجام والتوافق، «وهو أن تنتظم أجزاء الشيء، وتأتلف وظائفه المختلفة، فلا تتعارض، ولا تتنافر، بل تنفق وتتجه إلى غاية واحدة. فهو إذن وحدة في كثرة، أو هو تأليف موافق، وتركيب جميل، وترتيب متناسق»(١).

وللتناغم أشكال مختلفة، فقد يحصل بين أشياء غير متشابهة عند جمعها، فيكون التناغم وظيفياً، كالسدادة والقنينة، وقد تكون الصحبة معنوية مكونة للتناغم كالحمامة مع غصن الزيتون، فهي ترمز للسلام، وفي كلا الحالتين فإن التناغم هو نتيجة الوعي العقلي والاستنتاج، في حين يكون التناغم الحاصل في الشكل واللون والنسيج وغيرها تناغما طبيعياً يحس به مباشرة (٢).

ثانيًا: تعريف المكان:

المكان لغة: هو الموضع الحاوي للشيء، والجمع: أمكنة، وجمع الجمع: أماكن (٣).

قال الخليل: «المكان في أصل تقدير الفعل: مَفْعَل؛ لأنه موضع للكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفعال، فقالوا: مَكْناً لَهُ وَقَدْ تَمَكَّنَ، وَلَيْسَ هَذَا بأَعْجَب مَنْ تَمَسْكَن مِنَ المَسْكَن، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَن المَكانَ مَفْعَل أَن الْعَرَبَ لا تَقُولُ: هُوَ منِّي مَكانَ كَذَا وَكَذَا إِلاَّ بِالنَّصْبِ »(٤).

فالمكان: هو «الحاوي للشيء المستقر كمقعد الإنسان من الأرض وموضع قيامه وهو (فعال) من التمكن لا (مفعل) من الكون كالمقال من القول؛ لأنهم قالوا: تمكن، ولو كان من الكون لقالوا: تكون »(٥).

(١) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صلبيا (ت١٩٧٦م)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م: ١٦٠/١.

(٢) مبادئ في الفن والعمارة، شيرين إحسان شيرزاد، الدار العربية، بغداد، ١٩٨٥م: ٣٧.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م: مادة (مكن) ٩٨٣/٢؛ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م: مادة (مكن) ٧١/٧؛ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م: ٧٧٣.

(٤) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر، بلا تاريخ: مادة (مكن) ٣٨٧/٥.

(٥) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م: ٨٢٦.

أما اصطلاحاً، فيختلف تعريفه باختلاف مضامينه وموضوعاته، ومن التعريفات العامة: «عبارة عن مكان له اسم سمي به، بسبب أمر داخل في مسماه، كالدار؛ فإن تسميته بها بسبب الحائط والسقف وغيرهما، وكلها داخلة في مسماه»(١).

وعرف بأنه «الموضع الذي يستقر فيه الجسم، ويحيط به فقط دون ما حوله، كدائرة الكرسي مثلاً لمن جلس عليه »(٢).

و«المكانُ اللفظيُ المُتخيلُ، أي: المكان الذي صنعته اللغةَ انصياعاً لأغراض التخييل الروائي وحاجاته »(٣).

وردت لفظة (مكان) بمختلف اشتقاقاتها في القرآن الكريم (٢٢) مرة (٤).

والْمَكَان من حيث الاستعمال الحقيقي فِي الْقُرْآن يدل على الْموضع. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ (٥) أَي: على مواضعكم، أو على الصَّنِيع. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿أَنْتُم شَرّ مَكَانا﴾ (٦)، أَي: صنيعاً (٧).

وقد يرد استعماله مجازاً فيأتي بمعنى البدل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ (٨)، أي: امرأة مكان امرأة (٩)، أو معنى الفعل إلزم، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ

(١) التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٦م: ٢٢٧.

(٢) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري (ت٧١٦هـ)، تحقيق سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ: ٣٣٣/١.

(٣) بناء الرواية العربية السورية: ٢٥١.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ: ٦٧٢.

(٥) سورة الأنعام: من الآية ١٣٥، سورة هود: من الآية ٩٣، ١٢١، سورة الزمر: من الآية ٣٩.

(٦) سورة يوسف: من الآية ٧٧.

(٧) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م: ٥٤٢.

(٨) سورة النساء: من الآية ٢٠.

(٩) ينظر: تفسير الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق الدكتور أحمد مصطفى الفران، دار التدمرية، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ٥٦٢/٢؛ تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: مادة (زوج) ١٠٤/١١؛ المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز الخوارزمي (ت٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بلا تاريخ: ٢١٣؛

لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ (١)، «كأنهم قيل لهم: الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم حتى نفصل بينكم »(٢).

وعلى هذا يمكن للباحث تعريف التناغم المكاني بأنه التوافق والانسجام بين محددات مكانية مقبولة تربطها علاقة وظيفية واحدة تتوافق مع الغرض العام.

المبحث الثاني: تطبيقات التناغم المكاني في سورة يوسف

يلاحظ في سورة يوسف ارتباط المكان بالشخصية المحورية في السورة وهو نبي الله يوسف (عليه السلام)، وقد كان للمكان في السورة دلالات سيميائية، اكتست مضمونها التأثيري باختلاف السياق.

وأول ذكر ضمني للمكان في السورة هو في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٣).

ما يعنينا هنا هو المكان الذي تحقق فيه السجود، فهو مكان خيالي رآه يوسف (عليه السلام) في المنام، والسؤال الذي يفرض نفسه من أجل فهم طبيعة هذا المكان المتخيل، هو كيف سجدت هذه الأجرام السماوية؟

واختلف المفسرون في الإجابة عن هذا السؤال هل هو سجود حقيقي، أو هو سجود طاعة؟ اختصر الرازي الإجابة بقوله:«السؤال الرابع: المراد بالسجود نفس السجود أو التواضع»؟

وقال: «قلنا: كلاهما محتمل، والأصل في الكلام حمله على حقيقته، ولا مانع أن يرى في المنام أن الشمس والقمر والكواكب سجدت له»(٤).

والحقيقة أن في عالم الرؤيا أو المنام كل شيء ممكن التحقق، والجواب عن كيفية هذه السجود هو نوع عبث لا طائل منه، فهي رؤيا، يمكن أن يتحقق فيها المستحيل، إذ يمكن أن يرى أحدنا الشمس بهيئة إنسان أو بهيئتها الحقيقة تمشي وتسجد وتتكلم، ولكن السؤال المرتبط بالمكان الذي لم يذكر المفسرون إجابته، هل كان سجود هذه الأجرام وهي في مواضعها في

(١) سورة يونس: من الآية ٢٨.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م: ٥٤٦/٢.

(٣) سورة يوسف: الآية ٤.

(٤) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م: ٤١٩/١٨.

السماء أو أنها نزلت إلى الأرض وسجدت؟

الراجح لدي أن هذه الأجرام السماوية سجدت له وهو في موضعه من الأرض، لأن السجود لا يتحقق إلا بوضع الجبهة على الأرض، فلو أومأت الشمس بالسجود مثلاً وهي في عليائها، لم يصح وصف فعلها بالسجود، ولو كانت الشمس في هيئة كرة مثلاً وسجدت؛ فإن سجودها سيكون دحرجة، وهذا لا يسمى سجوداً، كما أن ذكر سجود الكواكب معاً، يدل على أنها اجتمعت في موضع واحد وسجدت له، وكما قال الرازي: «ولا مانع أن يرى في المنام أن الشمس والقمر والكواكب سجدت له»، فهي كما قدَّمنا رؤيا، والرؤى يتحقق فيها ما لا يخطر على بال أحد، فيمكن أن يكون الإنسان في مجلسه المعتاد، وتأتي إليه الكواكب والنجوم والشمس والقمر لتسجد له أو تتسامر معه.

أما المكان الثاني الذي ورد في هذه السورة، فهو قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١).

ولما كان هذا العرض من إخوة يوسف لإغراء أبيهم على السماح ليوسف بالخروج معهم، فقد اشتمل وصف المكان بثلاث صفات إغرائية:

الأولى: الرتع: وهي كلمة تفيد السعة وأن «الراء والتاء والعين كلمة واحدة: وهي تدل على الاتساع في المأكل »(٢).

الثانية: اللعب: و «اللَّامُ وَالْعَيْنُ وَالْبَاءُ كَلِمَتَانِ مِنْهُمَا يَتَفَرَّعُ كَلِمَاتٌ. إِحْدَاهُمَا اللَّعِبُ مَعْرُوفٌ. وَالتِّلْعَابَةُ: الْكَثِيرُ اللَّعِبِ. وَالْمَلْعَبُ: مَكَانُ اللَّعِبِ. وَاللِّعْبَةُ: اللَّوْنُ مِنَ اللَّعِبِ»(٣).

الثالث: الحفظ: و«الْحَاءُ وَالْفَاءُ وَالظَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُرَاعَاةِ الشَّيْءِ. يُقَالُ حَفِظْتُ الشَّيْءَ حِفْظًا »(٤)، أي: «كل الحفظ من أن يصيبه مكروه، أو يمسه سوء»(٥).

(١) سورة يوسف: الآية ١٢.

(٢) مقاييس اللغة: مادة (رتع) ٤٨٦/٢؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق زاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٢٧٢/٢، تاج العروس من جواهر القاموس، محيي الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، مكتبة الهداية، الكويت، ط١، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م: مادة (رتع) ٦٠/٢١.

(٣) مقاييس اللغة: مادة (لعب) ٢٥٣/٥.

(٤) المصدر نفسه: مادة (حفظ) ٨٧/٢.

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (ت١٤٣١هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م: ٣٢٦/٧.

ونجح الإخوة و«أطمعوا يعقوب (عليه السلام) في تمكينهم من يوسف بما فيه راحة نفس في اللعب، فطابت نفس يعقوب لإذهابهم إياه من بين يديه، وإن كان يشقّ عليه فراقه، ولكنّ المحبّ يؤثر راحة محبوبه على محبة نفسه»(١).

لقد طلبوا من أبيهم أن يرسله معهم إلى الصحراء، ليتسع في أكل الفواكه، ويلعب بالاستباق والتفاضل ونظائرهما (٢).

والتناغم الذي بين هذا المكان والذي قبله إنهما كلاهما لا وجود حقيقي له، فالمكان في الحالة الأولى رؤية ليس لها نصيب من الواقع، والمكان في الحالة الثانية مكان متخيل أيضًا؛ ولكن يمكن تحققه بقياسه على أمثاله من الأمكنة.

ومزية هذا المكان أنه مكان متخيل غير حقيقي، يتصوره كل إنسان بما يحلو له، فمن المؤكد أن الصورة التي رسمها الإخوة في أذهانهم تختلف اختلافاً كلياً عن الصورة التي رسمها يعقوب (عليه السلام) في نفسه، فمن المؤكد أنه تخيل مكاناً واسعاً ممتعاً يلهو فيه ولده الحبيب ويستمتع به، فهانت دون هذه الصورة المخاوف، ولا يغلب الحذر إلا الطمع.

ولكن هذه الفسحة المكانية لم تدم طويلاً، إذ آلت إلى حبس وضيق، كما بين ذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ (٣)، وغيابة الجب: «هي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله »(٤).

(١) لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي (ت٤٦٥هـ)، تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، ١٩٨١م: ١٧٢/٢.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي)، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ٢٧٦/٣؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ: ٢٧٥/٤؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: ١٩٣/١٢؛ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م: ٢٩/١.

(٣) سورة يوسف: من الآية ١٥.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ: ٥٤٠/٢.

ومع أن إخوة يوسف لم يقصدوا من إلقائه في هذا المكان الضيق الغائر الهلكة [١]، بدليل قولهم: ﴿لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [٢].

وهكذا يشترك المكان في الحدث بوصفه عنصراً فاعلاً في تطور الأحداث وبنائها، وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه، وفي علاقات بعضها ببعضها الآخر، كما يتجاوز المكان وظيفته الأولية المحددة بوصفه مكاناً لوقوع الأحداث، إلى فضاء يتسع لبنية الحدث ويؤثر فيه.

وههنا يأخذ المكان أثره المهم أيضاً، فإخوة يوسف أرادوا تغريب يوسف (عليه السلام) إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه، وبهذا يحققون فك أواصر العلاقة بين يوسف وأبيه والمكان الذي يأويهم.

وهذا المكان يتناغم مع سابقيه أيضًا في كونه مكاناً متخيلاً، إذ إن داخل الجب لا يعرفه إلا من اختبر الجلوس فيه، ولو فرضنا أن شخصاً اطلع على ما فيه وهو في الأعلى، فهذا لا يعني أنه يعرف حقيقة هذا المكان، ولكن الخيال المرتبط بهذا المكان خيال سوداوي مشبع بالخوف والرهبة مما ستؤول إليه الأمور لمن كان فيه بخلاف المكان السابق الذي يحدوه اللهو والأمل والفرح.

وفي محنة ضيق هذا المكان الموحش الذي يحدد الحركة ويترقب فيه الإنسان مصيراً مجهولاً، كأن يقع فيه حيوان مفترس، أو يخرج من شقوق جدران البئر من الهوام ما لا يعرف ضرره، أو إن كان فيه ماء يلحق الضرر بمن مكث فيه.

في وسط هذه المشاعر الموحشة يتجدد الأمل بالتحرر من ضيق البئر، وقد جاء الفرج على بعض القوافل، كما بينه قوله سبحانه: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ﴾ [٣].

فقد «تباشروا به حين أخرجوه »[٤]، ولا شك أن يوسف (عليه السلام) فرح بمغادرة هذا الحبس بدليل تعلقه بالدلو [٥]، فههنا تناغم مكاني بين ضيق الجب وبين سعة الخلاص منه في موضع

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ٥٦٧/١٥.

(٢) سورة يوسف: من الآية ١٠.

(٣) سورة يوسف: من الآية ١٩.

(٤) ينظر: جامع البيان: ٢/١٥.

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٩٠م:

لا حدود فيه؛ ولكن هذا الاستبشار لم يدم ما إن حط يوسف (عليه السلام) أقدامه على خارج الجب، إذ تبددت أحلامه ووجد نفسه قد وقع في ضيق من نوع آخر، هو ضيق اعتباري، ليس مادياً ولا تخيلياً، إنه ضيق الأسر، فخرج من ضيق إلى ضيق، خرج من ضيق يقيد حريته بسبب المكان إلى ضيق يقيد حريته بسبب الرق والظلم.

ولم يدم هذا الرق الظاهر طويلاً، إذ أُنعم على يوسف (عليه السلام) بحرية مزدوجة: حرية المكان، وحرية التحرر من الرق، كما بينه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

فتناغم المكان هنا مع ما سبق بأنه مكان فعلي حقيقي لا تخيلي، «وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾، تأويله واللَّه أعلم: كما مكنا ليوسف عند العزيز وامرأته كذلك نمكنك عند أهل الأرض، ولكن ذكر (مَكَّنَّا) على الخبر؛ لأنه كان ممكنًا في ذلك اليوم عند العزيز والملك، ويشبه أن يكون قوله: (مَكَّنَّا)، أي: كذلك جعلنا ليوسف مكانًا ومنزلة عند الناس، وفي قلوبهم مكان ما خذله إخوته، ولم يعرفوا مكانه ومنزلته وبعد ما كان شبه المملوك عند أُولَئِكَ، واللَّه أعلم»(٢).

«وقد بدأ التمكين في الأرض من لحظة دخوله إلى بيت عزيز مصر ليحيا حياة طيبة؛ وليعلمه الله تأويل الحديث؛ بأن يهبه القدرة على تفسير الرُّؤى والأحلام؛ وليغلب الله على أمره، ولو نظر إخوته إلى ما آل إليه يوسف (عليه السلام) فسيعرفون أن مرادهم قد خاب؛ وأن مراد الله قد غلب؛ بإكرام يوسف؛ وهم لو علموا ذلك لَضَنُّوا عليه بالإلقاء في الجُبِّ، وهذا شأن الظالمين جميعاً»(٣).

والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان: هل هذا هو المكان الذي تطمح إليه نفس يوسف (عليه السلام)، وهل هذه هي الحرية المنشودة؟

الجواب على السؤالين بالنفي في معرض الطموح، قياساً بما كان عليه بين أهله وعزوته، والجواب بالإيجاب قياساً بحال الجب.

٤٢١/٢؛ السراج المنير على معرفة بعض معاني علوم ربنا العليم الخبير، لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م: ٩٧/٢.

(١) سورة يوسف: من الآية ١٩.

(٢) تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق الدكتور مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ٢٢١/٦.

(٣) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ ١٩٩٨م)، راجع أصله وأحاديثه أحمد عمر هاشم في جامعة الأزهر، مطبعة أخبار اليوم التجارية، مصر، ط١، ١٩٩٧م: ٦٨٩٩/١١.

وعلى العموم فالمثوى الذي منَّ الله تعالى به على يوسف (عليه السلام) بعد تخليصه من الأسر: هو منزله الذي يثوي إليه بالطعام الطيب واللباس الحسن [١].

وهذا الإكرام بالمثوى لم يغب عن بال يوسف (عليه السلام) في أحلك الظروف، لذلك قال يوسف (عليه السلام) لزوجة العزيز: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [٢]، أي: الذي هيأ لي الإقامة في هذا البيت الذي لقيت فيه كل تكريم من سيدي وسيدك [٣]، أي: الله تعالى [٤]، ويجوز أن يكون المراد عزيز مصر [٥]، بوصفه أداة هذا التكريم، أي: إنَّ العزيز أحسن تعهدي وتربيتي ومعاملتي، فليس من الإنصاف أن أخونه في أهل بيته، وقد قال في ما مضى لها أكرمي مثواه وتربيته.

وقوله تعالى: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [٦] كناية [٧] عن حال الإقامة عندها، وللتمكين في الآية صلة بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [٨]، فهذا الكلام كرد العجز على الصدر، وبهذا التعبير الاعتراضي ينتقل الأمر من التعبير اللغوي إلى الواقع الفعلي تجسيداً لغلبة الله تعالى وعلو إرادته الغالبة المطلقة [٩].

---

(١) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٥م)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ: ١٢/٤ - ١٤.

(٢) سورة يوسف: من الآية ٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي بن أبي حاتم. (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، بلا تاريخ: ٢١٦١/٧.

(٤) البحر المحيط، أبو عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان (ت٧٥٤هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م: ٢٩٤/٥.

(٥) النكت والعيون، المعروف بـ (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م: ٢٣/٣.

(٦) سورة يوسف: من الآية ٢١.

(٧) الكناية لغة: أن تتكلم بالشيء و تريد غيره وهي مصدر من كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به ينظر: لسان العرب: مادة (كنى) ٢٣٣/١٥.

واصطلاحاً: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه معه أيضاً، كقولهم: طويل النجاد لمن كان طويل القامة. ينظر: شرح التلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدين بن عبد الرحمن القزويني (ت٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، بلا تاريخ: ١٥٥.

(٨) سورة يوسف: من الآية ٢١.

(٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢/١٢ – ٤٣؛ التفسير القرآني للقرآن الكريم، عبد العظيم الخطيب، دار الفكر العربي، بيروت، بلا تاريخ: ١٢٦٥/٦؛ الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، تونس،

أما التمكين في الأرض هنا، فهو استعمال يوسف (عليه السلام) على مصر بعد خروجه من السجن، «فكان صاحب أمرها هو الذي يلي البيع والأمر »[١].

ويتناغم المكان مع ما سبق؛ ولكنه يكتسي هذه المرة طابعاً واقعياً ليس خيالياً ولا افتراضياً، فهو قصر فسيح فيه أسباب الراحة الحقيقية، وتأتي الإشارة إلى المكان المقرون باليسر والرفاهية في هذه الواقعة في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [٢]، إذ رصدت ملامحه، فهو بيت فاره، هيأ ليكون مسرحاً لعبث امرأة العزيز، ومن هنا جاءت دلالةُ الربطِ بين البيت وبين الأحداث، وقد تحول هذا البيت الكبير إلى سجن ضيق على يوسف (عليه السلام) شهد حدث مأساوياً اصطدم مع رغبات يوسف (عليه السلام) في حياة آمنة بعد سلسلة المحن التي مرت عليه، ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ [٣]، وقطعت الأسباب وجمعت الهمة إليه [٤]، وصيغة التضعيف في (غلَّقت) تنبأنا عما هيمن على نفسها وتشعر أنها لما يئست ورأت منه محاولة الانصراف وأن المكان الذي أعدته فشل في تحقيق إرادتها أسرعت في ثورة نفسها مهتاجة تتخيل القفل الواحد أقفالاً عدة، وتجري من باب إلى باب، وتضطرب يدها في الإغلاق كأنما تحاول سد الأبواب لا إغلاقها فقط [٥].

لقد راعى يوسف (عليه السلام) حرمة المكان، وحرمة الذي أقامه فيه، مما يؤكد أن لبعض لأماكن حرمات ينبغي مراعاتها، فرفض خيانة سيده وراعى حركة بيته، فقال: «إن الذي اشتراني هو سيدي أنعم عليَّ بإكرامي، فلا أخونه في حرمه، إن فعلت ذلك كنت ظالمًا، ولا يفلح الظالمون»[٦].

ولا تختلف حرمة المكان على الرأي القائل بأن «الضمير لله سبحانه، أي: أن الله ربي تولاني بلطفه فلا أركب ما حرمه، وجملة إنه لا يفلح الظالمون تعليل آخر للامتناع منه عن إجابتها»[٧].

ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ٤٠٩/١.

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٢١٦١/٧.

(٢) سورة يوسف: من الآية ٢٣.

(٣) سورة يوسف: من الآية ٢٣.

(٤) ينظر: عرائس البيان في غريب القرآن، أبو نصر محمد بن روزبهان البقلي الشيرازي (ت٦٠٦هـ)، مطبعة العزي، الهند، بلا تاريخ: ٤١٧/١.

(٥) ينظر: وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، بلا تاريخ: ١٠٥/١؛ القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ٣٧٩.

(٦) التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م: ٧١/١٢.

(٧) فتح القدير: ٢١/٣.

لقد فاجأها موقف إيماني يستسهل السجن والعذاب، فقال يوسف (عليه السلام): {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (١)، فتبددت فسحة المكان، وزال الأمل بعيش آمن، وعاد ضيق المكان يلقي بظلاله على الحدث، وتصارع الطرفان، أحدهما يسعى إلى إبقاء الطريدة في حيزها المخطط له، والآخر يسعى إلى الانفلات من هذا الطوق المضروب على المكان ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ (٢) فراراً من محل الخطر، «يوسف أمامها هارب منها، وهي ورائه تتبعه لتحبسه على نفسها فأدركته قبل أن ينتهي إلى الباب»(٣).

فالمكان ارتبط هنا بالأحداث بشكل نسبي، فامرأة العزيز تراه واسعاً مترامي الأطراف يصعب حصر الهدف فيه، ويوسف (عليه السلام) يراها ضيقاً محدوداً، بشكل خطراً عليه، فالمكان يرتبط بالحالة النفسية لكلا الطرفين ولما خطط له.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ (٤)، إن رؤية العزيز عند الباب يؤذن بنهاية المحنة الكائنة في المكان المحدد: بيت العزيز.

لقد قرنت زوجة العزيز هذا الوعيد بتهديد صريح ليوسف (عليه السلام) وأكدت هذا المعنى في قولها: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (٥)، أي: إلا أن يحبس، أو أن يكون من الأذلاء (٦).

فهي قد انطلقت من بيئتها ومحيطها وطبقتها المترفة، التي لا تستسيغ سماع اسم السجن بله الحلول فيه، ولم تتصور أن سلب حرية المكان يمكن أن يساوم عليه، فهذا المكان مشحون بالعلاقات المُتصارعة الذي يحملُ سمات خاصة تعبر عن تجربة مريرة تحملُ معاناةَ يوسف (عليه السلام)، وتُثيرُ خيالَ المتلقي فيستحضره بوصفه مكاناً رديفاً للعذاب، وهذا ما أكده ربط السجن بالعذاب الأليم، أو بالإذلال، ولكن تأخيرهما عن المكان يعبر عن حبها الشديد ليوسف (عليه السلام)، لذا أخرت العذاب؛ لأن المحب لا يسعى في إيلام المحبوب، وأيضاً لم تقل أن يوسف

(١) سورة يوسف: الآية ٣٣.
(٢) سورة يوسف: من الآية ٢٥.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م: ٣٣٠/٢.
(٤) سورة يوسف: من الآية ٢٥.
(٥) سورة يوسف: من الآية ٣٢.
(٦) ينظر: أنوار التنزيل: ٢٨٦/٣.

يجب أن يقابل بهذين الأمرين، بل ذكرت ذلك ذكراً كلياً صوناً للمحبوب عن الشر [١].

وانتقلت المعاناة والضيق إلى محل آخر ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [٢]، ولم تذكر القصة معاناة يوسف (عليه السلام) في السجن، «على عادة القرآن في الاختصار في سوْق القصص اكتفاء بالمقصود من مغزى القصّة لئلا يصير القصصُ مقصداً أصلياً للتنزيل »[٣]؛ ولكن هذه المعاناة تعرف من المدة الطويلة التي مكثها من غير ذنب {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}[٤].

ولهذا شكر الله تعالى على نعمته بإخراجه من السجن بقوله: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ}[٥].

ولا يحتاج المرء إلى إجهاد ذهن من أجل تصور معاناة يوسف (عليه السلام) في السجن، لذلك كان الإعراض عن وصف هذه المعاناة وتفويض مرارتها إلى ذهن القارئ، إذ إن «المكانُ بوصفه تجربةً تحملُ معاناةَ الشخصيات وأفكارَها ورؤيتَها للمكان وتُثيرُ خيالَ المتلقي فيستحضره بوصفه مكاناً خاصاً متميزاً»[٦].

وسجل المكان حضوراً طاغياً مهما في عدد من الأحداث التي أعقبت دخول يوسف (عليه السلام) السجن، وهي مواضع متناغمة مع الساق العام للقصة، بعضها ذكر صريحاً وبعضها ذكر ضمناً، ويمكن تخليصها بما يأتي لوضوحها:

الأولى: زيارة الساقي ليوسف (عليه السلام) في السجن، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [٧].

الثانية: زيارة رسول الملك ليوسف (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ [٨].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٩٨/١٨؛ اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م: ٣٩٨/١٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٥.

(٣) التحرير والتنوير: ٥٩/٨.

(٤) سورة يوسف: من الآية ٤٢.

(٥) سورة يوسف: من الآية ١٠٠.

(٦) ينظر: المكان في الرواية العربية، غالب هلسا، دار ابن هانئ، دمشق، ١٩٨٩م: ٨ – ٩.

(٧) سورة يوسف: الآيتان ٤٥- ٤٦.

(٨) سورة يوسف: من الآية ٥٠.

الثالثة: استدعاء الملك للنسوة لمقابلته والتحقق منهم، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (١).

الرابعة: لقاء يوسف (عليه السلام) مع الملك، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٢)، «والمكانة: هِيَ الجاه والحشمة والدرجة الرفيعة »(٣).

الخامسة: تبوأ يوسف (عليه السلام) أمور خزائن الدولة بناء على طلبه، كما ذكر ذلك سبحانه في قوله: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤).

السادسة: المكان الذي التقى فيه بإخوته، وقد تكرر اللقاء الأول على أقل تقدير مرتين: الأولى في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ (٥)، والثانية بعد تجهيزهم ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٦)،

السابعة: رجوع إخوة يوسف (عليه السلام) إلى أبيهم، ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ﴾ (٧).

الثامنة: دخولهم مصر مرة ثانية ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ (٨).

التاسعة: الدخول الثاني على يوسف ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ (٩)، وتكرر ذكر المكان هنا أكثر من مرة فهذا اللقاء هو الأول، والثاني بينه قوله تعالى: ﴿آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ (١٠)، فمن المنطقي أنه أوى إليه أخاه بعد انصراف سائر إخوته، واللقاء الثالث عند تجهيز البضاعة، ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ (١١)، والرابع بعد اتهامهم بالسرقة ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (١٢).

(١) سورة يوسف: من الآية ٥١.
(٢) سورة يوسف: الآية ٥٤.
(٣) تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م: ٣/٤٠.
(٤) سورة يوسف: الآيتان ٥٥- ٥٦.
(٥) سورة يوسف: من الآية ٥٨.
(٦) سورة يوسف: الآية ٥٩.
(٧) سورة يوسف: من الآية ٦٣.
(٨) سورة يوسف: من الآية ٦٨.
(٩) سورة يوسف: من الآية ٦٩.
(١٠) سورة يوسف: من الآية ٦٩.
(١١) سورة يوسف: من الآية ٧٠.
(١٢) سورة يوسف: الآية ٧١.

العاشرة: ترك الإخوة يوسف (عليه السلام) ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ (١).

الحادية عشر: امتناع كبيرهم عن مغادرة الأرض، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ (٢)، «يعني أرض مصر»(٣).

الثانية عشر: الرجوع إلى أبيهم ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ (٤).

الثالثة عشر: ذكر القرية التي كانوا فيها ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ (٥)، «هي قرية بالقرب من مصر، لأنهم كانوا قد خرجوا من مصر، وقيل: القرية هي مصر، والتقدير: أهل القرية»(٦).

الثالثة عشرة: الدخول الثالث على يوسف (عليه السلام) ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٧).

لقد بلغت تناغمات المكان وتوافقاته مداها عندما تبوأ يوسف (عليه السلام) خزائن دولة كبيرة ممتدة الأطراف، وحظي بحرية يغبطها عليها الآخرون، فهي ليست قاصرة على حرية التصرف بل حرية عامة مطلقة تسمح له بالتحكم في حريات الآخرين.

ولهذا قال إخوة يوسف ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٨).

«قالُوا متضرعين مستحين متذللين مقسمين على سبيل التثبيت والتقرير: تَاللَّهِ يا أخانا لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ واصطفاك عَلَيْنا، وأراك في المنام ما أراك من سجود الشمس والقمر والكواكب المعتبرة، وكفاك هذا دليلاً على نجابتك واختيارك علينا مع أن أبانا قد علم منك ما علم من الرشد وكمال العلم والفضل، لذلك آثرك علينا محبة وعطفا، وَبالجملة إِنْ كُنَّا أي إنا كنا لَخاطِئِينَ في إذلالك وإرادة مقتك وإهلاكك وضربك وإيذائك، وبالجملة قد كنا ساعين في إبطال إرادة الله ومشيته وكمال حكمته وقدرته؛ لا سيما في إيذاء أبينا بمفارقتك عنه، وإيقاعه بأنواع البليات والنكبات

(١) سورة يوسف: من الآية ٨٠.

(٢) سورة يوسف: من الآية ٨٠.

(٣) النكت والعيون: ٦٧/٤. وينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم بيروت، ط١، والدار الشامية بدمشق، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م: ٥٥٧.

(٤) سورة يوسف: من الآية ٨١.

(٥) سورة يوسف: من الآية ٨٢.

(٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء (ت٥٠٥هـ)، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة، جدة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م: ٥٥٠/١.

(٧) سورة يوسف: الآية ٨٨.

(٨) سورة يوسف: من الآية ٩٢.

إلى حيث قد أبيضت كريمتاه من فراقك؛ فالآن الحكم لك والأمر بيدك، وإنَّا مجرمون مقرون معترفون بأنواع الجرائم، فلك الاختيار وعلينا الحسرة والندامة وأنواع الكآبة»(١).

وأراد يوسف (عليه السلام) أن ينتفع من خصائص المكان والمكانة التي هو فيها إلى أقصى غايات الانتفاع المشروع، وهو أن يجمعه المكان بأحبته، فقال: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٢).

«أي اذهبوا يا إخوتي بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي؛ الذي طال حزنه بسبب فراقي له يأت بصيراً، أي يرتد إليه كامل بصره، بعد أن ضعف من شدة الحزن، وأتوني معه إلى هنا ومعكم أهلكم جميعاً من رجال ونساء وأطفال»(٣).

لقد رسم يوسف (عليه السلام) صورة أنموذجية للمكان المنشود وحق له هذا، فقد تحققت له المكانة، والملك، والمكان الفسيح.

ويفرض المكان نفسه تارة أخرى في أحداث السورة مع قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (٤).

وقد عرض الإمام الماتريدي أقوال المسفرين في هذه الآية ووزان بينها بعقلانية وبعد نظر فقال: «قال أهل التأويل: كان بينهما ثمانون فرسخًا؛ يعني: بين مصر وبين كنعان مكان يعقوب. وقيل: مسيرة ثمانية أيام؛ ما بين الكوفة والبصرة، ولا حاجة لنا إلى معرفة ذلك أن كم كان بينهما؛ سوى أنا نعلم أنه كان بينهما مسيرة أيام؛ ثم وجد يعقوب ريح يوسف من ذلك المكان؛ ولم يجد غيره ممن كان معه؛ فذلك آية من آيات اللَّه؛ حيث وجد ريحه من مكان بعيد لم يجد ذلك غيره، وذلك من آثار البشارة والسرور الذي يدخل فيه بقدومه»(٥).

وفي خاتمة المطاف يتناغم المكان مع أحداث القفصة ليرسم خاتمة مبهجة لطيفة مفعمة بالسرور، كما بينها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (٦).

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود نعمة الله النخجواني (ت٩٢٠هـ)، دار ركابى للنشر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م: ١/٣٨٤.
(٢) سورة يوسف: الآية ٩٣.
(٣) التفسير الوسيط: ٧/٤١٣.
(٤) سورة يوسف: الآية ٩٤.
(٥) تأويلات أهل السنة: ٦/٢٨٥.
(٦) سورة يوسف: الآية ٩٩.

فلما دخلوا على يوسف (عليه السلام) «في المكان الذي تلقاهم إليه في وجوه أهل مصر وضرب به مضاربه ﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ إكراماً لهما بما يتميزان به، قيل: هو المعانقة»[1].

فكان هذا المكان المحطة الأولى للقاء الأحبة، والذي تعزز بتحقق رؤيا يوسف (عليه السلام) ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [2].

وقد تحقق في هذا المكان أمران:

الأول: موضع العرش.

الثاني: موضع السجود.

ولا يخفى ما بينهما من تناغم وتوافق.

وعلى العموم فإن المكان في قصة يوسف (عليه السلام) شهد توالياً بين الصعود والهبوط، أو بين الفسحة المكانية وضيقها، فابتدأت الأحداث من الحيز الواسع حيث اللعب واللهو إلى الفسحة الواسعة المتمثلة بالتمكين في الأرض.

لقد اكتسب المكان في قصة يوسف (عليه السلام) أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، ولا لأنه المكان الذي تجرى فيه الحوادث، وتتحرك فيه الشخصيات فحسب، بل لأنه تحول إلى فضاء احتوى كل العناصر المؤثرة في القصة، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات.

لقد تكررت كلمة السجن سبع مرات، وذكر السجن بعمومه يشعر بالمعاناة التي ألمت بيوسف (عليه السلام)، وتب مرارة السجن في قول امرأة عزيز مصر في محاولة يائسة منها لتبرئة نفسها، ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [3]، ويكفي للتعرف على حقيقة هذا السجن بمعرفة قرينه، العذاب الأليم، ولم تقل: إلا السجنُ أو عذاب؛ لأن لفظ السجن يطلق على البيت الذي يوضع فيه المسجون ويطلق على مصدر سجن، فقوله: (أن يسجن) أوضح في تسلط معنى الفعل عليه [4].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط١، بلا تاريخ: ٢١٦/١٠.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

(٣) سورة يوسف: من الآية ٢٥.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥٧/١٢.

الخاتمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

أولاً: النتائج:

توصلت في هذا البحث إلى عدد من النتائج:

١. يطلق التناغم على جملة معاني يراد بها الانسجام والتوافق.

٢. للمكان أثره الكبير في السياق القرآني وفي إثراء المعنى.

٣. أظهر تناول المكان أثره المهم في قصة يوسف (عليه السلام) وقد ذكر تارة صراحة، وتارة تلميحاً أو ضمناً، وفي جميعها كان للمكان تأثيره الكبير في الأحداث.

٤. حملت الأماكن دلالات متنوعة، اقترنت بمعرفاتها أو بمسمياتها الظاهرة، فضلاً عن المدلولات الكامنة.

٥. بين ذكر الأماكن ثراءً نصياً متنوعاً، أسهم في تحقيق التناغم المكاني الذي عبر عن وحدة السياق.

٦. كان هناك تناغماً بين جميع الأماكن التي وردت في سورة يوسف شكلت فيما بينها منظوم معرفية تفاعلية مع سائر عناصر القصة.

٧. إن التفاعل بين الإنسان والمكان أضفى على الوقائع والحوادث خصائص معينة، وتتباين هذه الخصائص بتباين طبيعة علاقة الإسنان بالمكان.

ثانيًا: المقترحات:

التوسع في دراسة المكان في سور قرآنية أخرى.

والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٢. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري (ت٧١٦هـ)، تحقيق سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي)، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤. البحر المحيط، أبو عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان (ت٧٥٤هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٥. بناء الرواية العربية السورية، د. سمر روحي الفيصل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥م.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محيي الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي (ت١٢٠٥ه)، مكتبة الهداية، الكويت، ط١، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٧. تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي (ت٣٣٣ه)، تحقيق الدكتور مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٩. التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٦م.

١٠. تفسير الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق الدكتور أحمد مصطفى الفران، دار التدمرية، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١١. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨ه)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٢. تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت٤٨٩ه)، تحقيق ياسر إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٣. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨ه ١٩٩٨م)، راجع أصله وأحاديثه أحمد عمر هاشم في جامعة الأزهر، مطبعة أخبار اليوم التجارية، مصر، ط١، ١٩٩٧م.

١٤. تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي بن أبي حاتم. (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، بلا تاريخ.

١٥. التفسير القرآني للقرآن الكريم، عبد العظيم الخطيب، دار الفكر العربي، بيروت، بلا تاريخ.
١٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (ت١٤٣١هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٧. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
١٨. التناغم اللوني في البيئة الحضرية، د. وحدة شكري الحنكاوي، ندى عبد المعين حسن، المجلة الهندسية المعمارية العراقية، العدد ٢٢، ٢٣، ٢٤، تشرين الأول، ٢٠١١م.
١٩. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢١. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٢٢. الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، تونس، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٤. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٩٠م.
٢٥. السراج المنير على معرفة بعض معاني علوم ربنا العليم الخبير، لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٢٦. شرح التلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدين بن عبد الرحمن القزويني (ت٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٢٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٢٨. عرائس البيان في غريب القرآن، أبو نصر محمد بن روزبهان البقلي الشيرازي (ت٦٠٦هـ)، مطبعة العزي، الهند، بلا تاريخ.
٢٩. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر، بلا تاريخ.
٣٠. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء (ت٥٠٥هـ)، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة، جدة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
٣١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٥م)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ.
٣٢. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود نعمة الله النخجواني (ت٩٢٠هـ)، دار ركابى للنشر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
٣٣. القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٣٥. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٦. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٧. لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي (ت٤٦٥هـ)، تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، ١٩٨١م.
٣٨. مبادئ في الفن والعمارة، شيرين إحسان شيرزاد، الدار العربية، بغداد، ١٩٨٥م.
٣٩. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٤٠. المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صلبيا (ت١٩٧٦م)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت،

ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٤١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٤٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ.
٤٣. المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز الخوارزمي (ت٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بلا تاريخ.
٤٤. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٤٥. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٤٦. مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٤٧. المكان في الرواية العربية، غالب هلسا، دار ابن هانئ، دمشق، ١٩٨٩م.
٤٨. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٤٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط١، بلا تاريخ.
٥٠. النكت والعيون، المعروف بـ (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.
٥١. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق زاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق

صفوان عدنان داوودي، دار القلم بيروت، ط١، والدار الشامية بدمشق، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٥٣. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، بلا تاريخ.
٥٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.